وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العروبة عند ابن تيمية : ردٌّ ومناقشة

د. حسن هويدي

المصدر: مجلة حضارة الإسلام، العدد 8 - السنة الثانية، ص89-97
تاريخ الإضافة: 2007/06/16 ميلادي - 1428/5/30 هجري

قرأت في أعداد الحضارة الأول والثاني والثالث من السنة الثانية مقالاً للأستاذ محمد المنتصر الكتاني تحت عنوان (العروبة عند ابن تيمية) ووجدت فيه ما يستوجب الملاحظة والتنبيه فأقول وبالله المستعان:

ورد في العدد الأول ص(90) حول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) قول الأستاذ: (إنما يعني إتمام مكارم أخلاق العرب وصالح عاداتهم لا أخلاق غيرهم من الأمم التي استوفت أغراضها أو بطلت ونسخ ما كان منها صالحاً يوماً ما).

وأقول أن هذا تخصيص لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير دليل بل الدليل يقوم على عكس ما أراد الأستاذ من حصر المجال الخلقي من الرسالة المحمدية في أخلاق العرب وإليك بيان ذلك:

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وليس للعرب خاصة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} [سبأ (28)]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء(107)]، {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان(1)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس كافة)). ومعلوم أن الرسالة لا تتجزأ في تبليغها للناس من حيث جوانب الخير فيها، فلزم بالنسبة للأدلة المتقدمة أن يعم الجانب الأخلاقي من الرسالة جميع البشر وإذا حصل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم متمماً لمكارم الأخلاق لدى جميع الأمم لا عند العرب فقط.

خلق الله تعالى جميع الخلق حنفاء وفطرهم فطرة واحدة يقول تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم (30)] ويقول صلى الله عليه وسلم: ((يولد المولود على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) ويقول مبلغاً عن ربه: ((خلقت عبادي حنفاء ثم أجتالتهم الشياطين))، فجميع خلق الله لا يعدمون خيراً في حقيقة النفس الإنسانية التي أودعها الله ما أودع من المواهب، وأهّلها لقبول الهدى والتخلق بالخلق الكريم، وقد ثبت ذلك بالدليل القطعي لم يبق مجال لحرمانهم من الهدى الخلقي المحمدي.

وأما تقييد الأستاذ أخلاق الأمم بالتي استنفذت أغراضها أو بطلت.. فينشأ عنه محذور آخر فإن أراد أنها استنفذت أغراضها فكملت تماماً واستغنت عن الرسالة المحمدية فذلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

باطل إذ يصبح إرساله صلى الله عليه وسلم إليهم عبثاً وذلك مستحيل في جانب الله تعالى، وإن أراد ببطلانها أو نسخ بعضها استغناؤهم عن فضل الرسالة كان الخطأ أكبر إذ أنهم يصبحون في هذه الحالة أحوج إلى تتميم الأخلاق وإصلاح العادات وإحلال حكم جديد محل الحكم المنسوخ.

أرسل الله تعالى رسله إلى الأمم السابقة من غير العرب مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الحق والميزان ليقوم الناس بالقسط فاهتدى من اهتدى منهم وضل من ضل، فنال المهتدون ما نالوا من الفوز بالنعيم فكانوا سلفاً ومثلاً للآخرين {ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ } [الواقعة (13-14)]، {ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة (39-40)] ولذلك لن يستغرب الأستاذ إذا وجد أن الله سبحانه يدعو العرب أنفسهم للتأسي بأخلاق الذين مضوا من المؤمنين من غير العرب والجري على سننهم يقول تعالى: {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النساء (26)].

فأين حصر الرسالة في مكارم أخلاق العرب من دعوة العرب أنفسهم إلى مكارم أخلاق غيرهم من الأمم؟!

وهل ذاك إلا تسلسل الهدى الإلهي من لدن آدم عليه السلام إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام؟ وشتان بين هذا الارتباط الإنساني الذي يبني فيه المتأخر على بناء المتقدم وبين انقطاع يحول دون إتمام رسالات الرسل ويحدد الرسالة في حدود أخلاق العرب؟!

وإذا كان الهدى هدى الله والفضل كله له، فلن ينقص قدر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وهو سيد ولد آدم أجمعين بما فيهم الأنبياء والرسل عليهم السلام، أن يدعوه ربه سبحانه، وهو العربي، إلى الاقتداء بهداهم وهم غير عرب، يقول تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام (90)]، {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف (35)]، {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص (35)]، {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود (120)] وإذن يجد الأستاذ أن الأمر قد بلغ حداً أبعد مما يتصور في الاقتداء بالصالحين من غير العرب ممن هداهم الله واجتباهم، فإذا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم سيد العرب وسيد ولد آدم مدعوا بنص الكتاب وبآيات كثيرة للاقتداء بهدى الأنبياء من غير العرب فدعوة من دونه بالفضل لازمة بالأولى للاقتداء والتأسي بأخلاق الصالحين من أي أمة كانوا والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها. وإذا بلغ الأمر حد الاقتداء بهدى الرسالات السابقة عند غير العرب فتتميم ما جاؤوا به من مكارم الأخلاق تحصيل حاصل وأمر لازم.

وقال الأستاذ (ص63 من العدد الثاني): (والقرآن حين يصف محمداً عليه الصلاة والسلام {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم(4)] إنما يصف خلقه الذاتي الذي نشأ فيه وتربى عليه والإنسان ابن بيئته، كما يقول ابن خلدون الحجة في علم الاجتماع، فيكون الوصف بالخلق العظيم وصفاً للعرب).

وأقول إن الخطأ في هذا القول يظهر من ناحيتين: الأولى إن خلق الرسول صورة عن خلق البيئة، والثانية أن الوصف بالخلق العظيم وصف للعرب.

الناحية الأولى: قبل أن نرد القول بأن خلقه صلى الله عليه وسلم كان صورة وانعكاسا عن بيئته نريد أن نعرف ما كانت عليه تلك البيئة قبل الإسلام:

أما ما ورد فيها من خير فلا حاجة إلى تكرار ما جاء به الأستاذ من وصف بعض سجايا العرب الطيبة التي أقرها الإسلام وشجع على التمسك بها كالشجاعة والسخاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمروءة والنجدة، وما أورده من الأحاديث (الصحيحة منها) الدالة على فضل العرب وامتيازهم على غيرهم بما أودع الله فيهم من قابليات للخير، وأهلية لرفع لواء الحق، وطاقة مكبوتة تحتاج إلى تفجير وتوجيه، وكل ذلك من نوع الخير الكامن الذي يحتاج إلى من يظهره وينميه، وليس من النوع الظاهر الذي يفرض تأثيره على البيئة. وأما ما ورد فيها من شر فأصغ إلى وصفه من قول الله تعالى:

– {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة (50)]، {ظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} [آل عمران (154)].

إذن فهي بيئة جاهلة.

– {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة(257)].

إذن فهي بيئة مظلمة.

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال (24)].

إذن فهي بيئة ميتة مجازاً.

– {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص(5)]، {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان (13)].

إذن فهي بيئة مشركة ظالمة.

– {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا} [آل عمران (103)].

إذن فهي بيئة مشرفة على الهلاك.

– {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الجمعة(2)].

إذن فهي بيئة ضلال مبين.

وإذا أردت أن تعرف وصف هذه البيئة من كلام العرب أنفسهم فاسمع قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مخاطباً نجاشي الحبشة: (سيرة ابن هشام 358/1): (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.... إلى أن قال: ونهانا (أي الرسول) عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة...).

ومن هنا يتبين للأستاذ بكل جلاء ووضوح ما كانت عليه البيئة الجاهلية من سوء وفساد وما كان يسيطر عليها من شر وطغيان وما كان يتحكم فيها من ظلم وجور.

وإذا كان الإنسان ابن بيئته كما يقول الأستاذ، وابن البيئة لابد أن يأخذ في تكوينه الأخلاقي من خيرها وشرها، لزم أن يلحق هذا الحكم النبي صلى الله عليه وسلم حسبما التزم الأستاذ وصرح، من فلسفة البيئة، فيكون الرسول قد أخذ – معاذ الله – في تكوينه الخلقي من البيئة العربية خيرها وشرها؟!!

أفيرضى الأستاذ بهذه النتيجة المخيفة يوصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على فلسفة البيئة؟

على أننا، زيادة في الإيضاح، سنثبت للأستاذ عدم سريان هذه الفلسفة على الرسول الكريم من الكتاب والسنة وما اجتمعت عليه أقوال الأئمة:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول الله تعالى، مبيناً مبلغ عنايته بموسى عليه السلام منذ طفولته: {ولتصنع على عيني}، أفيستكثر الأستاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الرسل أن ينال من الله سبحانه عناية في تكوينه الكلي كعنايته بموسى عليه السلام؟ وهل ثمة نسبة بين صنع الباري مخلوقه على عينه، عناية وتزكية وتكريماً وحفظاً، وبين تأثير البيئة الانفعالي الذي يضم خيراً وشراً؟!

وورد في صحيح مسلم: (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ثم لأمة ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا أن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس وكنت أرى أثر المخيط في صدره).

وورد حديث شق الصدر الشريف أيضاً في ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقصه عن نفسه بتفصيل آخر، وفيه أنه أخرج منه الغل والحسد وأدخل فيه الرأفة والرحمة وعمره عشر سنين وأشهر. (تفسير ابن كثير 524/4).

فأين هذه التزكية الربانية والعناية الإلهية بخارقة فوق الطبيعة ومعجزة فوق البيئة، من تأثير البيئة المختلط وأثرها السيء؟ وهل يصدق بعدها على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقال أن أخلاقه وليدة بيئته أو أنه ابن بيئته؟!

ومن الآثار [التي] يستأنس بها للبحث ما أورده السهيلي على حاشية سيرة ابن هشام (197/1) قال:

(هذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة: كان عليه السلام يحمل الحجارة وإزاره مشدود عليه، فقال له العباس: يا ابن أخي لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل فسقط مغشياً عليه ثم قال: إزاري إزاري فشد عليه إزاره وقام يحمل الحجارة.

وفي آخر أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء أن أشدد إزارك يا محمد، وأنه لأول ما نودي، ولعل هذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين: في حال صغره وعند بنيان الكعبة).

ومن ذلك ما ذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر يصل به إلى علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما)) أي من فعلهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال: نعم، فخرجت، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى كرمني الله عز وجل بنبوته)).

وذكر نحوه ابن جرير (34/2) بسند آخر عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول.. الحديث.

ومن هنا يلاحظ الأستاذ عناية الله سبحانه وتعالى بنبيه وحفظه من أسواء البيئة وعصمته من زورها وفجورها ليعده الإعداد الكامل لحمل أعباء النبوة وليجعله رحمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للعالمين، وكيف يمكن لمن أرسل ليقضي على ضلال البيئة وظلماتها وبغيها وفجورها أن يكون خلقه انعكاساً لأخلاق تلك البيئة في يوم ما؟ (والإنسان ابن بيئته)؟ ويا ليت الأستاذ قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ من البيئة بحكم بشريته بعض ما فيها من مثل الخير وعصمه الله من ظلمها وفحشائها وأضاف إليه العناية الضرورية للإعداد الكامل إذن لكان ذلك مقبولاً ولما وجد من يجادله في بشرية الرسول عليه الصلاة والسلام وقبولها الخير فحسب، أما إطلاق القبول وبيئته تضم الشرك والبغي والفحشاء ففي ذلك الشطط والبهتان، وإن خطأ في جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كخطإ في جانب أحد من الناس أجارنا الله والأستاذ من الزلل.

وأما ما جاء عن الأئمة في حفظه وعصمته صلى الله عليه وسلم من فساد البيئة قبل النبوة فكثير. من ذلك قول الإمام النسفي في تفسيره: (كان عليه السلام من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوماً من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان) تفسير سورة الضحى.

وقول الإمام الزمخشري: (والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين من قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة). من تفسير الخازن في سورة الضحى.

وقول الإمام الخازن: (لأن نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشؤوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون من قبل النبوة...). تفسير سورة الضحى.

ومن الجلي أن هذه العصمة تتنافى مع تأثير البيئة بل تفسد القول به اللهم إلا ما كان من خير فإن العناية الإلهية هي التي استثنته واستصفته له صلى الله عليه وسلم.

يتبين مما تقدم عن هذه الناحية التي تتعلق بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم – وقد أطلنا فيها لما يقتضيه البحث من الإطالة والتفصيل – أن عناية الله سبحانه وتعالى وكلاءته وحفظه قد حفت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم منذ نشوئه فعصمته من أسواء البيئة وآفاتها ورفعته عن أرجاسها وقاذوراتها، وجعلته في كنف ربه يصونه ويرعاه ويشرح له صدره ويرفع له ذكره ويصنعه على عينه. وأن القول عنه صلى الله عليه وسلم أنه من حيث الخلق ابن بيئته – بعد ما عرفت – عدا كونه خطأ يكذبه واقع الرسول مع قومه فإنه ذنب يجب التوبة منه والرجوع عنه. وبهذا يثبت أيضاً فساد المقارنة التي عقدها الأستاذ بين الضلال المبين الذي كان عليه العرب قبل الإسلام والحال التي كان عليها النبي قبل النبوة.

وأما الناحية الثانية التي تورط فيها الأستاذ نتيجة لبنائها على الحكم الأول الذي فندناه، فقال: (أن الوصف بالخلق العظيم وصف للعرب) فإنها منقوضة بنقض الحكم الأول – لو أردنا الإجمال – لأنه إن فسدت المقدمات فسدت النتائج لزاماً، وحيث ثبت أن خلقه صلى الله عليه وسلم ليس صورة عن خلق البيئة، فأصبح إطلاق هذا الخلق على العرب محالاً. وإذا أردنا التفصيل قلنا للأستاذ كيف تستسيغ أن تصف واقعاً بالخلق العظيم وصفه الله تعالى بالشرك والإثم والضلال المبين؟! وإن ادعى الأستاذ أنه أراد بذلك وصف العرب بعد إسلامهم – وعبارته لا تحتمل ذلك – قلنا فيكون الفضل حينئذ للإسلام فحسب لا للعرب من حيث كونهم عرباً الأمر الذي يقصد إليه الأستاذ ويلح عليه. على أن ذلك غير سائغ أيضاً لأن الخطاب في قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم (4)] موجه إليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلى الله عليه وسلم ومخصوص به، ولا تحتمل اللغة إطلاقه إلى غيره ولم يرد أثر صحيح يدل على التعميم حتى نعدل إلى التأويل، ولأنه صلى الله عليه وسلم لا يدانيه في عظيم خلقه خيار أمته وخاصتهم فكيف يطلق ذلك على مجموعهم وعامتهم؟! وإذا أردنا أن نستزيد بياناً ونستلهم رشداً وبرهاناً عن خلقه العظيم الذي وصفه الله تعالى به وأنه لا ينبغي أن يطلق على العرب رجعنا إلى الأحاديث الصحيحة التي تبين حقيقة ذلك الخلق العظيم وتكشف جلالة قدره وتوضح خفي سره:

قال ابن جرير: حدثنا [عبيد بن آدم بن أبي إياس، قال ثني أبي،] حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم (4)]؟.

وهذا الحديث عن السيدة عائشة أم المؤمنين (كان خلقه القرآن) أورده الإمام مسلم في صحيحه من حديث طويل، وروى نحوه الأئمة أبو داود والإمام أحمد والنسائي.

وإذا كان ذلك كذلك فأنى لفرد من العرب أن يكون خلقه القرآن – غير الرسول الأعظم – وخير المؤمنين الصالحين منهم من يرزق – بعد الأركان – نصيباً من سمو القرآن في ما نص عليه من الفضائل والكمالات!

وقال الأستاذ (ص69 عدد2): (هذا فقه الصحابة... وفقه غيرهم من الأئمة عن العرب كله يؤيد نظريات ابن تيمية عنهم ويجعلها من الشريعة الإسلامية في الصميم لا مجرد آراء تبدو ونظريات تعرض).

وأقول بعد إقرارنا بفضل العرب وما اختصهم الله به من الفضائل التي ذكرناها، يجب علينا حين نكوِّن من ذلك مفهوماً وهو (العروبة) ونجعله من الشريعة الإسلامية في الصميم أن نحدد هذا المفهوم تحديداً دقيقاً قبل جعله من صميم شرع الله لأن (من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو عليه رد)، ولأن هذا المفهوم قد أختلف اليوم كثيراً واضطرب، وإذا تغير المفهوم وجب أن يتغير الحكم، أن من الجاهلين أو المغرضين اليوم من يجرد العروبة من أحكام الإسلام، ومنهم من يبنيها على عصبية محضة الإسلام منها براء، ومنهم من يمزج فيها الكفر بالإيمان. فأنى يستقيم الحكم إزاء هذه المفاهيم المختلفة التي تطاول فيها الجهلاء وبغى فيها السفهاء فكل يهرف بما لا يعرف!

وأما ما ذكره الأستاذ (88/1) من تعريف ابن تيمية للعروبة حيث قال: (فالعروبة عند ابن تيمية تثبت باللغة وبالنسب وبالوطن..) فإنه لا يحل المشكلة ولا يتفق مع الحكم الذي أبداه الأستاذ بجعله هذه العروبة بهذا المفهوم من الإسلام في الصميم، فرب متكلم بالعربية منحدر من أصل عربي، ويسكن أرض العرب وليس بينه وبين الإسلام صلة بل يعادي العرب ويكيد لهم – كالشيوعيين مثلاً – فهل تكون عروبتهم هذه بهذا التعريف من صميم الإسلام؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم!

وإذا أردنا أن نزيد الأمر وضوحاً حول أهمية اختلاف المفاهيم وما يترتب على ذلك من نتائج بالغة الخطورة، قلنا: أن (النبيذ) قد ورد حله في صدر الإسلام وهو عبارة عن نبذ التمر أو الزبيب في الماء دون اختمار غولي ولا إسكار، نظير (الخشاف) في زماننا، بينما يدل لفظ (النبيذ) اليوم على شراب غولي مسكر ونسبة الغول فيه معروفة، وكل مسكر حرام، فهل يجوز لنا أن نذكر للناس حل النبيذ دون ذكر الفرق بين نبيذ الأمس ونبيذ اليوم فنستعجلهم لشربه بل نوهمهم – عن قصد أو غير قصد – بطهارته وحله؟!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إذن يجب علينا بالنسبة لهذه الفقرة أن نتبين أمرين: الأول تحديد مفهوم العروبة لنستطيع تبيين مكانها من الشرع والثاني أن يكون اعتقادنا بعروبتنا وخيرية العرب وما امتازوا به من الخصائص التي تؤهلهم للقيادة وتقدمهم للإمامة، غير متناف مع إنسانية الدين الحنيف وإنصافه الكامل لكافة خلق الله وصلاحه لجميع الأمم في جميع العصور، وأن أساس التفاضل التقوى، وأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وأنه مهما ذكر به العرب من خصائص وما وسموا به من فضائل فلأنها وسائل إلى التقوى ووشائج إلى الهدى، وبذلك يسلم اعتقادنا من الزلل ويبرأ قولنا من الخطل ونسلك سبيل الحق في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات(13)].

وقوله عليه الصلاة والسلام:

– ((من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) مسلم.

– ((لا فضل لعربي على أعجمي... إلا بالتقوى)) أحمد.

– ((إن الله عز وجل اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، مؤمن تقي، وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأفواهها)) أبو داود والترمذي.

والله نسأل أن يسدد خطانا ويلهمنا رشدنا ويرزقنا العمل بكتابه وسنة نبيه ويهدي قلوب العرب جميعاً لطاعته ويجمع شملهم على شريعته فتنبت الأرض العربية – كما أنبتت من قبل – خير نبات تشهده الإنسانية يكون مثالاً يحتذى ونبراساً يستضاء به، والله على ما يشاء قدير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1- ملاحظة

PM Talal - UK - 19/06/2007 10:51

بارك الله فيكم

ومن توضيح حال العرب حديث عائشة في البخاري ولا يحضرني حفظه وهو عن انواع الانكحة في الجاهلية فتاتي المراة وتنصب امام بيتها علما الى اخره

ولقد علق عليه ابن خلدون بكلام يحسن مراجعته

وليت الاخ ينقل منصوص كلام ابن تيمية حتى نعرف وجه الرد والمناقشة لكلام المنتصر الكتاني

This file was downloaded from QuranicThought.com